

إن سرّ النهوض في الأمم الناهضة، وسر النجاح في الأمم الناجحة، يرجع في الكثير الغالب إلى توافر هذا العنصر في الأمة، وإلى حسن الاختيار فيمن توسد إليهم الأُمور، دون تأثير إلا بالصالح العام.

* * *

و أما العلم فلا أريد به مجرد معرفة القواعد والمسائل والنظريات، وإنما أريد مع هذا علماً تطبيقاً عملياً ننشئ به المصانع والمعامل، وننتج به الآلات والادوات، ونسخره في تيسير الحياة، وتذليل صعابها، ونقوى به أنفسنا، ونكشف به أمراضنا، وندرس وسائل علاجها، ونبتكر لها إذا أعوزنا أن نجد العلاج فيما بين أيدينا، ونسابق به الأمم في مضمار الحضارة البشرية سباقاً يشعرون معه أننا أعضاء عاملون في الكتلة الانسانية، ولسنا عالمة عليهم، ننتفع بعلمهم، ونتأثر بأبلغ التأثير بآثارهم، وتمتليء حياتنا في بيوتنا ومصانعنا ووسائل مواطن نشاطنا بثمرات أفكارهم، ونحن مع ذلك نرجو أن يحترمونا أو لا يفكروا في استعمارنا، واستغلال ما لم نستطع استغلاله في بلادنا، كما هي سنة القوة مع الضعف، والمعرفة مع الجهل. إن الخلق بدون العلم لا ينفع، ولكن العلم في الأمة الفاضلة يدرأ عنها فيحفظ عليها أن تغزى في أخلاقها، والفضيلة في الأمة العالمية توجه علمها إلى الخير والإصلاح وتعصمها من أن تتخذ منه أداة للهدم والتخريب، والظلم وهضم الحقوق، وابتغاء العلو والفساد في الارض بالطغيان والجبروت.

لقد كنا - معاشر المسلمين - قادة في العلم والاختراع واستنباط ما ينفع الناس ويمكث في الارض، وكان الناس لنا في ذلك تبعاً حيناً من الدهر، أما الآن فقد انعكست الآية، وصار القادة تابعين، والتابعون قادة، فمتي نعود إلى تبوىء مكانتنا، أو متي - على الاقل - نشارك أهل العلم في علمهم، فنحملهم على احترامنا، ونجاريهم في أهم ميادين الحياة، ونؤدى للإنسانية ضريبة إنسانيتنا؟